رئيس التحرير المسؤول
العميد منير عقيقي

ذكرى انفجار وطن

"ما زلت أؤمن بأن الانسان لا يموت دفعة واحدة وانما بطريقة الاجزاء. كلما رحل صديق مات جزء، وكلما غادرنا حبيب مات جزء، وكلما قتل حلم من احلامنا مات جزء ...". كأن جبران خليل جبران لم يكتب الا للبنان وعن لبنان. كأنه حاضر فيه وبيننا امس واليوم وحتما غدا. وفي انتظار "ان يأتي الموت الاكبر ليجد كل الاجزاء ميتة فيحملها ويرحل"، نلملم في هذا الوطن تلك الاجزاء علها ترمم في داخلنا صورا مكسورة.

عام على الرابع من آب، يوم انفجار مرفأ بيروت، معلنا انفجار وطن تآكل تحت وطأة المحاصصة والسرقات المقنعة والاقتصاد الموهوم. عام على سقوط 204 ضحايا وآلاف الجرحى و300 الف مشرد، ناهيك بدمار مئات الوحدات السكنية والتجارية والسياحية. عام على اختفاء مرفأ كان شاهدا على حضارة تعود الى اكثر من ستة آلاف سنة.

لبنان بلد الحلم والحضارة، موطن المثقف والكاتب وخلاق الموسيقى والكلمات والشعر، وصانع الذوق ومروج الموضة وناثر الفرح... لبنان الاكاديمي الجامعي التعليمي الاستشفائي الخدماتي السياحي... لبنان "كل شيء في كل شيء"، تلاشى كما تتلاشى الاحلام مع كل موت. سقط صريعا في لحظة حساسة لم يسبق للمنطقة ان شهدتها منذ مئة عام، وهي مئوية لبنان التي لم يتسن لنا الاحتفال بها، بل كانت محطة لمآس من الانهيارات التي تتوالى بلا توقف حتى اصبح اللبنانيون متسولين لكل شيء... للدواء... للغذاء... للمياه... للكهرباء... للهواء النظيف... صرنا نتسول كل شيء: تاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا، حتى حقنا الطبيعي في الحياة نتسوله.

ان سقوط الدولة لا يحتاج كثيرا. يكفي ان تفتك المحسوبيات، وتنشر المحاصصة، وتتنازع الغرائز الطائفية، ويحل الاستثناء بدلا من القاعدة، وتهزم الفوضى القانون، ويضيع القضاء بين التسييس والضغوطات، حينها ستتآكل الدولة ويسقط الهيكل على رؤوس الجميع.

بهذا المعنى، كان انفجار المرفأ السقوط الاخير. ماتت كل الاجزاء التي شهدت على موت الام والاب والاخ والاخت والابن والابنة والحبيب والحبيبة والزوج والزوجة والقريب والصديق والجار. قتلنا الاجمل فينا بأيدينا، باستزلامنا، بعدم مسؤوليتنا، بسكوتنا عن عدم تطبيق القانون بضمير حي بعيدا من التشفي والتسييس وتسيّد المصالح على العدالة.

اليوم ككل يوم، تمضي ايام ثقيلة على كل مَن فقد عزيزا. في كل منزل قصة، وفي كل شارع رواية. وحده الموت مَن جمع حلم طفلة تنتظر لعبتها وتقف امام مرآتها تنتظر نموها وبلوغها، ومراهق في مدرسته يحلم في اختصاصه ونجاحه وعمله، وام تنتظر ان تعود الى اولادها لتعيش معهم مراحل تطورهم، واب يعود بعد تعب نهار وليل ليفرح عائلته بمردوده.

قصص شهداء "انفجار الدولة" لا تتسع لأية رواية، فقد امتزجت الاسماء والاجساد والمهن والاختصاصات، وتوحدت جميعها في سيرة موت وطن.

الموت حقيقة تامة عند البشرية بكل دياناتها ومعتقداتها، لكن اشكاله تختلف. الموت في لبنان هو من صنيعة الانتهازيين الفاشلين الصنميين، المسؤولين عن الفساد والانهيار الاقتصادي والمالي والمجتمعي. لمرفأ بيروت تاريخه الحضاري. منذ اواخر القرن التاسع عشر ساهم في تطور مدينة صغيرة، كلما توسع كبرت معه فكانت بيروت الجميلة.

ها هي بيروت اليوم حزينة، ذابلة، خانها الارهاق والتعب. لم يبق منها سوى هيكل المرفأ القبيح الذي تفوح منه الصفقات التي سلبت ارواحنا التي لا يمكن ان تشترى، والتي لن تذهب الى صناديق الاقتراع لتختاركم لأنها وحدها تعرف حقيقة وجوهكم.

جريمة انفجار مرفأ بيروت تكاد تكون خيالنا الذي يرافقنا في كل خطواتنا.

إلى العدد المقبل